موقعة الذات الباحثة ضمن منظومة البحث العلمي، نحو بناء وعي ممكن برهانات المستقبل

حداد أشرف: طالب دكتوراه
المشرف: د. ليلى بن عائشة، أستاذة محاضرة "أ"
مخبر: السرديات والأنساق الثقافية
جامعة محمد لمين دباغين ـ سطيف 02 ـ

الملخص:

تتغيا هذه المداخلة، إحداث قطيعة إبستمولوجية في محاولة تجاوز، مقولتي: "الكيف"، و"ماذا"، إلى الإجابة عن تمثلات مختلف الإشكالات التي تعترض الذوات الباحثة من معوقات وصعوبات، إذ يطرح هاجس المنهج والنظريات الحديثة نفسه من بين أبرز هذه التحديات، إضافة إلى أزمة المصطلح الأدبيّ/ النقديّ وتأثيرها على واقع الدراسات الأكاديميّة، في سبيل ميلاد أنتلجنسيا واعية وعيا ممكنا بتحديات المستقبل.

الكلمات المفتاحية: الكيف، ماذا، منهج، النظريات الحديثة ، أنتلجنسيا.

Abstract:

The purpose of this intervention is a attempt to create an epistemological rupture to overtake the "How" and "what" statements to answer the representations of the various problems that confort the researcher's obstacles and difficulties. The obsession with the method and modern theories presents itself among the most prominent of these challenges, monetary impact on reality of ademic studies, for the birth of an "Intelligentsia" and conscious of the possiple consciousness for future challenges.

Key words: How, what , method, modern theories, Intelligentsia.

تساءل "القديس أوغستينوس" يوما سؤالا لطالما أشكلت الإجابة عليه ، مفاده:" ما هو الزمان إذن؟ إن لم يسألني عنه أحد، فأنا أعرفه، وإن أردت أن أفسره للسائلين لم أعرفه"[1]، فسؤال الماهية ينطوي على أهمية وظيفية في الاستشكالات ـ بلغة جعفر يايوش ـ

وهذا ما سيكون منطلقنا الذي تتأرضن عليه هذه المداخلة، عبر القول بتجاوز لمقولة "الكيف" التي جعلت من النتاجات الأدبية حبيسة السياقات المختلفة، وكذا مقولة "لماذا" التي سيّجت بدورها النصوص الإبداعيّة في تلك الأنساق، وجعلت منها السبيل الوحيد إلى تلمس الجماليات الإبداعية. فالنص الإبداعيّ وعلى نحوّ مميّز، ينبني على فعل القراءة، " أيّ أن النص موات والقراءة / التأويل يبعثان فيه الحياة ويعيدان خلقه من بعد خلق آخر على غير مثال "[2]، وهذه القراءة لا تقول بوجوبية "القارئ المثاليّ" (Lecteur modèle)، بل قارئا واعيا بتلك العقبات والمشكلات المعرفية والمنهجية التي تَحُول وفعله البحثي، لاسيما الإجرائيّ منه مهما تعدد جنس ونوع تلك المدونات، هذا ما سنحاول أن نعرض له في ورقتنا البحثية.

1ـ هاجس المنهج وإشكالية المصطلح النقديّ/ الأدبي على الساحة البحثية، نحو مقاربة لجهود بعض الأنتلجنسيا الجزائرية:

شهدت الساحة النقديّة/ الأدبية الجزائرية خصوصا والعربية عموما، طفرة نوعية من حيث الكمّ والنوع المنهجيّ، على نحو أنبأ بظهور نوع من القصور في التمييز بين الأدوات المنهجية والإجرائية التي يُؤخذ بها في مباشرة النصوص ومختلف المدونات الأدبية، وأمام هذا "الطغيان المنهجي" على الساحة البحثية العربية، تعالت الأصوات إلى ضرورة رصد جملة من المفاتيح الإجرائية لهذه المناهج، في حين طفت إلى السطح مشكلة أخرى هي "أزمة مصطلح" وتعدد المُعادِلات الدلالية للمصطلح الواحد بين النقاد والمصطلحيّين العرب، وغير بعيد عن هذا يذهب "حميد لحمداني" إلى التأكيد على ضرورة مواكبة مختلف التطورات المصطلحية للدراسات البنيوية الحديثة ـ في سياق حديثه ـ كما لا يخف أيضا، أنّ بعضا من هذه المناهج في حدّ ذاتها، " لا تزال تعاني من مشكلة تأسيس المصطلحات الثابتة"[3]، الأمر الذي لا مناص منه يتطلب في مثل هذه السياقات توخي الحذر والوعي المنهجيّ في المباشرة الإجرائية للمدونات التطبيقية، وفي موضع آخر، يؤكد "لحمداني" على الأهمية المصطلحية في علاقتها بالمنهج المتبع من قبل الناقد/ الباحث في مباشرته المقارباتية للمتون، ويقول في هذا السياق: " ويمكن أن نضيف إلى ذلك كلّه أن استخدام مصطلحات بعينها يشكل أيضا علامة على المنهج المتبع، وهذه المسألة لها أهميّة بالغة في نظرنا "[4].وإنّه في حال وجود كمّ مصطلحيّ متنوّع نرجع ذلك إلى عملية إحصائية بسيطة، فنتبيّن المنهج الغالب على المتن الأدبي.

ومن جهته يرى "محمد أديوان" أن الأزمة المنهجية التي تعاني منها الساحة الأدبية/ النقديّة العربية، حتميّة لا مفر منها، ويستدعي تشخيصها –حسبه– اتخاذ جملة من الإجراءات،بالنظر إلى إلى طبيعة هذه الأزمة التي تتمظهر على ثلاثة مستويات[5]:

1.1 مستوى الذات القارئة.

1.2 مستوى الموضوع.

1.3 مستوى المنهج.

ففي المستوى الأول، تدخل الذات القارئة_في علاقة دياليكتية مع المنهج وهذه الذات القارئة، وهي بأيّ حال من الأحوال إمّا تنحو إلى الموضوعية والحياد_في الأخذ به أو إلى الذاتية والنزعة الشوفينية بتبني منهج على حساب آخر، أمّا المستوى الثاني، ونقصد به هاهنا المتون أو المدونات المطبَّق عليها جملة من الأدوات الإجرائيّة، وآخر هذه المستويات هو المنهج، الذي يقوم_في ولادته على الانبناء على مجموعة من المفاهيم التي تمدّها به النظرية، _في حين يعرف فؤاد ناصيف خير بك "منهج المعرفة" ،في قوله: " منهج المعرفة منهج واحد لا يختلف أبدا وهو منهج المحاولة والخطأ، هو منهج كلّ نقاش علمي، وهو أيضا منهج العلم ومسار بحثه "[6]، وهذا ما يؤكد على أنّ منهج المعرفة، يقوم_في أساسه على استدعاء العديد من العمليات التي ينبني عليها "التفكير المنهجي"، على نحو: التحليل/ التركيب، الاستقراء الاستنباط.. وغيرها من السبل المنتهجة_في هذه المناهج المعرفية.

ويرى "حبيب مونسي"، أنّ التهليل الكبير والترحاب المبالغ فيه من قبل الكثير من النقاد الذين راحوا يتسارعون إلى " الاغتراف من ينابيع الغرب لم يكن يتم بطريقة منهجية رصينة، ولا كان ليتم بهذا بهدوء مدروس، إنما كان اغتراف العطشان من الذي يعكر المورد دون أن يفوز بالريّ. ومنه كان الابتسار_في النقل وسوء الفهم_في الأخذ والترك وكان التمحّل_في التطبيق والإجراء "[7]، هذا التسرّع الاغتراف من المناهل الغربية، يدفعنا إلى التساؤل_في هذا السياق، هل الساحة الجزائرية والعربية تعانيان من أزمة مصطلحية، أم: إننا إزاء وهم_في الترجمة ـ إن صح القول ـ ؟، ليأتينا الردّ متذبذبا_في الطرح والرؤية، فكلّ ناقد/ باحث يبدي رأيه من زاوية نظر معينة، إذ يرى "بن جمعة بوشوشة" _في تناوله لأزمة مفاهيم نقد الرواية العربية، إنّها " ليست أزمة ترجمة مصطلحات ونقلها من سياق لغوي ـ غربي أوروبي، إلى سياق عربي مغاير هو العربية، بقدر ما هي أزمة ثقافة عربية عاجزة من أن تسهم_في إنتاج المعرفة الإنسانية_في الأزمان الحديثة "[8]، وعلى النقيض من هذا الرأي، يعزي "بشير بويجرة محمد" هذا التخبط المصطلحيّ الذي تغرق فيه الساحة

البحثية إلى عدم الانطلاق_في مباشرة هذه المصطلحات ترجمة/ تعريبا من الوعي المنهجي، من هنا لنكاد نجزم بالقول ـ مستوى الساحة البحثية ـ " فِعْلا إننا نلوك كومة من المصطلحات وفق قصدية عبثية وتحت لوعة الاحتراق بالقبض على حقيقتها وفق سياقات إبستمولوجية يتطلبها الوضع المفاهيمي العالمي، وتقتضيها الضرورة البيئية المنتجة لما نتداول حوله من قضايا وأفكار وما تلمح به إلينا من مرجعيات جمالية وفنية وما تشرح به من دلالات وإيحاءات "[9]، في ظل هذا غياب بالوعي المصطلحي، نجدّ بعض الباحثين لمّا يناولون مصطلحا سرديا/ نقديا واحدا، يقرون بندرة الدراسات والأبحاث المتعلقة بدراسته كمصطلح "الفضاء"، وحتى وإن وجدت فهي تبقى مجرد اجتهادات منهم، يقول "حميد لحمداني" في هذا السياق، " إنّ الدراسات الموجودة حول هذا الموضوع لا تقدِّم مفهوما واحدا للفضاء، فمنها مَنْ يقدِّمُ تصَورَيْن أو ثلاثة ومنها ما يقتصر على تصوّر واحد "[10]، لتبقى هذه الجهود في حدود تصورات لا غير؛ ولمَّا كان لهذا المصطلح تلك الأهمية، فقد اختلف النقاد العرب في استخدامه، فنهم من آثر استخدام مصطلح "الحيّز" كمقابل لمصطلح "الفضاء"، وفي المقابل نجد وجوها نقدية أخرى استعملته كمقابل لمصطلح "المكان"، وهذا ما أكدّت عليه "سيزا قاسم" التي رأتْ أنَّ تضارب الآراء عند النقاد العرب ما هو إلاَّ نتيجة لمحاولة: " بعض النقاد الغربيين المعاصرين التفرقة بين مستويات مختلفة من المكان:

الانجليزية الفرنسية

Espace = Space/ Place

Lieu = Location

ونجد المرادفات العربية لهذه الكلمات في

المكان / الفراغ

الموقع

وقد اكتفى النقاد الكلاسيكيون في اللغات الثلاث باستخدام كلمة المكانLieu/Place/Space للدلالة على كلّ أنواع المكان حيث لم يكن معنى الفراغ بمفهومه الحديث قد نشأ..."[11]، ولهذا نجد أنّ "عبد الحميد بورايو" قد استخدم: " مصطلحا جمع فيه بين صيغَتَيْن، إذ ورد استعماله بهذه الصيغة ((الحيز المكاني)) رغم أنّه استخدم مصطلح المكان بكثرة في بحثه المشار إليه ـ المكان والزمان في الرواية العربية ـ ، دون مصطلح الحيّز "[12]، ومن ثمة فمفهوم "الفضاء" عنده ـ بورايو ـ أقرب ما يكون منه إلى المكان منه إلى الحيّز، وعلى النقيض من ذلك نجد أنَّ الناقد "عبد الملك مرتاض"، قد

استبدل مفهوم الفضاء بمصطلح "الحيّز"؛ حيث يقول: " لقد خضنا في أمر المفهوم، وأطلقنا عليه مصطلح الحيّز مقابلا للمصطلحين الفرنسي والانجليزي: (Espace , Space)، في كلّ كتاباتنا الأخيرة، وقد حاولنا أن نذكر في كلّ مرة عرضنا فيها لهذا المفهوم علّة إيثارنا مصطلح ((الحيّز)) وليس ((الفضاء)) الذي يشيع في الكتابات النقدية المعاصرة "[13]،حيث يرى "مرتاض" أنّ الشيوع الاستعمالي لمصطلح "الفضاء" يرجع إلى الكثافة المصطلحية التي عرفتها/ تعرفها الساحة النقدية والأدبيّة عن طريق الترجمة من اللغات الأجنبية، وما تَبَنِيه لهذا المصطلح إلاّ تأكيد على مفهوم الحيّز لدى "غريماس" (Greimas)، فهو عنده: " الشيء المبنيُّ (المحتوي على عناصر متقطعة) انطلاقا من الامتداد، المتصوَّر، هو على أنّه بُعْدٌ كامل ممتلئ، دون أن يكون حل لاستمراريته، ويمكن أن يُدرَسَ هذا الشيء المبنيّ من وجهة نظر هندسيّة "[14]، ولا مراء أنْ نجده ـ عبد الملك مرتاض ـ يقسم الحيّز إلى مَظْهرَين أساسيَيْن، استنادا إلى المفهوم الغريماسيّ الذي وضعه لهذا المصطلح : (المظهر الجغرافيّ/ المظهر الخلفيّ)، حيث يربطُ الأوّل بالأماكن الموجودة في أشكالها المتنوعة مِنْ: جبال، سهول، وديان...، بينما يحيل المظهر الثاني، على ما يطلق عليه: "المظهر الغير مباشر"، والذي يُعبَّرُ عنه بواسطة مجموعة من الأدوات اللّغوية على شاكلة (الأفعال، الجمل...)؛ تعبيرا غير مباشر على نحوِ ما يستعمله الروائيون إبداعاتهم الأدبيّة، ولهذا يتبدى لنا أنَّ مفهوم "الفضاء" أقرب ما يكون إلى ذلك المفهوم الغامض، خصوصا على الساحة الأدبية والنقدية العربية، إلاَّ " أنَّ الفضاء في الرواية ليس، في العمق، سوى،مجموعة من العلاقات الموجودة بين الأماكن والوسط والديكور الذي تجري فيه الأحداث والشخصيات التي يستلزِمُهَا الحدث، أي الشخص الذي يحكي هذه القصة والشخصيات المشاركة فيها "[15]، وبالتالي فإنّ مفهوم الفضاء أشملُ من مفهوم المكان، ذلك أنّ هذا الأخير ـ أي: المكان ـ هو واحد من الأجزاء المكوِّنة للفضاء، الذي يأخذُ شكلا طوبوغرافيا بحتا، كـ: المقهى، الشارع، البيت، القبو...كأيِّ مكان جغرافيّ قار لمَّا يكون هذا المكان بعيدا عن منأى التفاعل بين الشخصيات والأحداث، وما إنْ تتفاعل ـ الشخصيات والأحداث ـ فيما بينها يُخلَقُ لنا ما يسمى: "الفضاء الروائي"، الذي يستلزَمُ فيه وجود شخصيات وأحداث تتفاعل فيما بينها داخل الخطاب الروائي، هذه الديناميّة التي يفتَقِدُ لها المكان، إذ يمكننا أن نتصور وجود مكان بأبعاده الجغرافيّة القارة؛ بعيدا عن سيرورة زمنيّة حكائية وبهذا فهو لا يختلف كثيرا عن "المظهر الجغرافيّ" الذي حدده "عبد المالك مرتاض" للحيّز.

أمّا عن جهود الأنتلجسيا الجزائرية في مجال التأصيل المنهجيّ والممارسة المصطلحية، فإننا نقف على تجارب لكثير من الباحثين والأكاديميين في هذا المجال، نذكر منهم مثالا ـ لا حصرا ـ تجربة كل من: عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، عبد الحميد بورايو، السعيد بوطاجين، وغيرهم، ممّن كان لهم دور فعال في إثراء الساحة البحثية بنتاجاتهم النقدية، فتجربة "رشيد بن مالك" في قاموسه الذي وضعه للمصطلحات السيميائية، التي لا تنفك عن تبني النظرية السيميائية في طرحها المصطلحي بشكل أو بآخر، فإنْ كان ـ بن مالك ـ قد نفى على ذاته الباحثة القول بالشمولية والكمال في مدونته هذه إلاّ إنّه أقرّ بصعوبة الاشتغال على الحقل السيميائي، بقوله: " ولئن كانت المحاولة التي أُقدم عليها في هذا العمل مغامرة صعبة في حقل معرفي لم تستقم فيه بعد المصطلحات بشكل نهائي، فإنني واثق من خطورة المهمة "[16]، والحال سيّان مع "السعيد بوطاجين" الذي يقرّ أيضا على الصعوبة المزدوجة التي واجهته في مباشرته مقاربة بعض المتون الأدبية، فالمشكل الأول، يرجعه إلى الصيرورة الأداتية غير المستقرة على منهجية قارة، أما المشكل الآخر، يرجع إلى المصطلحات التي تقول بها المناهج والنظريات النقدية، الأمر الذي أضفى به إلى التصريح مباشرة، بقوله: " أما المصطلحات التي كنا مضطرين إلى استعمالها دون أن نجد ترجمة لها، فقد اقترحنا مقابلا لعله يكون قريبا من معناها، وفي حالات أخرى لجأنا إلى الشرح من خلال استعمال جمل كاملة تهدف إلى تقريب المعنى من المتلقي "[17]، هذا ما عمد إليه في هذه المدونة النقدية، فاستعمل مصطلح "السميأة" للدلالة على كلمة Semoitisation في حديثه عن الترسيمة/ النموذج العاملي الذي اقترحه "غريماس" في كتابه الدلالة البنيوية الذي انتقدته "آن أوبر سفالد" (Anna Ubersfeld) لعدم مقروئيتها[18].

أمّا عن تجربة الناقد "عبد الحميد بورايو" فقد انبنت/ انصبت في معظمها على محاولة تمثل مختلف ما جاءت به المناهج والنظريات الغربية المعاصرة، وإن كان في بداياته قد انبرى لمجال السرد من حيث اهتمامه بشتى المدونات الشعبية، " غير أن تخصص الناقد بورايو أكاديميا في مجال الأدب والثقافة الشعبية حمله على تحويل مساره النقدي على مستوى الرؤية والمنهج معا، فكان أن لفت انتباهه المنهج الشكلاني الروسي مع رائده فلاديمير بروب، وكذلك البنيوية الأنثروبولجية عند ليفي ستروس ..."[19]، لذلك جاء اهتمامه البحثيّ يدور حول إنتاجات مختلف الأشكال السردية التراثية، بما في ذلك النصوص الشعبية، وما يؤكد اهتمامه بهذا الحقل المعرفي بالذات، قوله: " كما نرمي إلى تقديم دراسات نموذجية لمواد من التراث الشعبي العربي والعالمي من قبل مختصين

مسلحين بوسائل منهجية حديثة لعلها تكون حافزا لطلبتنا وباحثينا على خوض غمار الدرس المعمق لمواد التراث، بالاستفادة من مناهج التحليل البنوية والسيميائية"[20]، كما لا يخف أيضا إنّه_في تجربته هذه المتعلقة بالترجمة المصطلحية قد حاول من خلالها الاستفادة من تجارب سابقيه، من منطلق الصلات الوثيقة للطبيعة المصطلحية بين شتى المدارس والمناهج النقديّة.

2ـ نحو بيلدونغ باحث واع، بين جدلية البحث والممارسة الفعلية:

ينبثق ميلاد الباحث الواع "وعيا ممكنا" (conscience possible) بتحديات العملية البحثية من خلال تمثّل "بيلدونغ"[21] المثقف النقدي ـ بلغة محمد أركون ـ لا أنصاف المثقفين الذين كان همهم الأكبر والسؤال الذي ما انفك يراودهم، " محاولة للمقارنة بين درجة المقروئية_في الغرب وعندنا نحن العرب، والحديث المتكاثر أنهم يقرؤون_في كلّ مكان"[22]، بينما تناسو جوهر القضية الأصلية، إنّ القراءة لا تقاس بالكم النوعيّ بل بمدى الإضافة التي تقدمها للمعرفة العلمية، الذي يتخذ من الأدوات البحثية التي يتكأ عليها_في الممارسة الفعلية؛ بعيدا عن تلك السياقات التي تعترض وصوله إلى جملة من الأهداف التي أطرّ لفعلها الديناميّ_في الإشكالية، عبر تحيينه (actualisation) وفق إستراتيجية مضبوطة المعالم والرؤى تسمح له بمجاراة نسق الفعل البحثيّ من بدايته إلى نهايته؛ إلاّ إنّ هذا لا يتحقق اعتباطيا بل بتبني الذوات الباحثة لـ "رؤية للعالم" (vision du monde) من "المنظور الغولمانيّ" العارفة بختلف مجريات محيط البحث العلميّ، ومواكبة للتطورات التي تشهدها الساحة الأدبية والنقدية على حد سواء، وكذا لتلك الرهانات المنوطة بالباحث أن يأخذها بعين الحسبان، مما لا يدع مجالا للشك على مركزية الباحث الواع_في سبيل تفعيل العملية البحثية؛ محاولة للنهوض بالفعل البحثي على الساحة الأكاديميّة.

إنّ استدعاء نموذج المحاكاة الأرسطية (Mimésis) كمحاولة لتمثل نموذج الباحث/ الصانع، التي حملت معه بُعدًا إبداعيا، " فالمحاكاة عند أرسطو بعيدة بدرجة واحدة. وهنا يمكننا القول أنّ بأنّ المواقف والأفعال، والشخصيات، والانفعالات ينبغي أن تكون مشابهة للحياة وليس صورة فوتوغرافية منها "[23]، فإذا ما أسقطنا ما وصل إليه "أسطو" _في نظريته هذه على الذوات الباحثة الواعيةّ، فإنّها لا محالة ستنحو إلى الانغلاقية والنظرة الضيقّة، مما لا يدع مجالا لتقصي العملية البحثية وفق منطق منهجيّ رصين، فالباحث هو صانع، والمصنوع ـ أو مبتغى الوصول إلى صنعه ـ هو الرسالة الدكتورالية من منطلق ينبني على "منطق السؤال الجواب" (Logique question – reponce)، وهذا ما حاول "غاستون باشلار" (Gaston Bachelard) وغيره القول به،_في محاولته "

تأسيس مشروع فلسفي ابيستيمولوجي، يهدف إلى تكوين مفهوم جديد للعقل والواقع، ((...))، فلسفة تنطلق من معطيات الفكر العلمي المعاصر، منتقدة بذلك جميع الفلسفات السابقة لها والمعاصرة لها "[24]، أي الانفتاح بجملة المفاهيم التي طرحتها الفلسفات التقليدية السابقة ـ العقلانية الكلاسيكية وكذا العقلانية الميتافيزيقية ـ إلى مقولات تحمل القدرة على استيعاب معطيات مختلف طروح المعطى العلمي الجديد.

3ـ المثقف اللا منتمي أم حتمية مثقف تقليدي:

من هو المثقف؟ هل هو مفهوم دال على فئة نخبوية دون أخرى، أم هو: مصطلح دال على عموم المتعلمين من الأكاديميين والباحثين؟، فإذا ما أردنا أن نسائل المدلولات التي تسكن كينونة هذا الأسئلة التي تعرِّف المثقف، فإننا لا محالة سنتساءل لا محالة عن مفهوم الثقافة؟، التي يعرفها أحد الباحثين، بقوله: " ليست كتلة جامدة، ولا ماهية ثابتة، ولا عقلية متحجرة، وإنما هي علاقة توتر مستمرة، وثمرة هذا التحول الدائم بين الوعي والواقع، والذات والموضوع، والحاضر والمستقبل، وبقدر ما تنجح ثقافة ما ـفي إعطاء حلول إيجابية لهذا التوتر دون التضحية بطرفيه، أي دون إلغائه، وجودها، تؤسس للمجتمع كمجتمع مدنيّ، وتضفي عليه الاستمرارية والتقدم "[25]، ولذلك فالثقافة تربط بين الواقع والوعي ـفي علاقة ديالكتيكية، غير منفصلة، التي تمدّ الفرد بالقدرة على التحكم ـفي نفسه والمحيط الذي يقيم فيه ممارساته الروتينية، أمّا "أنطونيو غرامشي" (Antonio Gramci) فإنّه يؤكد على الوعي الذاتيّ الذي يحكم جماهير المثقفين، فمفهوم المثقف ـ حسبه ـ يشمل " كلّ من يمارس عملا تربويا ثقافيا أخلاقيا ... فمناضل الحزب والمعلم والصحفي، والأديب مثقفون لكنهم يبذلون عملا ذهنيا .. يتعدى كثيرا كمية ونوعية العمل اليدوي الذي يؤديه الشغيلة اليدويون مثلا "[26]، بعيدا عن ذلك المفهوم الضيّق الذي أعطاه الماركسيون له بحصره ـفي زمرة مبدعي الأفكار والإيديولوجيات.

ينطلق "غرامشي" من مفهومه حول "المثقف" إلى تيبولوجية معينة للمثقفين، مقسما إياهم إلى:

1. مثقفين عضويين.
2. مثقفين تقليديين.

في هذا السياق، تعرّف "أنطونيينا ماكيوشي" المثقف العضويّ بالاستناد إلى مدى تأثيره على الساحتين، الاجتماعية والمجتمعية، بقولها: " المثقف العضوي هو المثقف الذي تكون علاقته مع الطبقة الثورية ينبوع تفكير مشترك، فليس هو ذلك النرجسي الفردانيّ المحلّق على أجنحة الحرّ "[27]، لذلك فهذا الصنف من المثقفين يمثل الأساس الذي ترتكز

عليه البنية الفوقية وعلاقتها مع البنية التحتية، أما المثقف التقليدي فهو أقرب ما يكون إلى الإنسان اللامنتمي، الذي " يدرك ما تنهض الانسانية من أساس واه، والذي يشعر بأنّ الاضطراب والفوضوية أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به "[28]، وإن كان اللامنتمي ينهض في فكره على مقوّمات يرى فيها أنها لا يمكن بأيّ حال من الأحوال أن تكون إجابة على مشاكله، فهو يغرّد خارج سرب الجماعة من منظوره المتعالي عن فكر العامة من الجماعة البشرية، إلاّ أنّ المثقف التقليدي ما هو إلاّ نتاج لحطام سوسيوثقافي وسوسيوتاريخي يجعله لا مركزيا يساير التيارات المختلفة ليحقق وجوده كوجود مؤنسن لا كوجود ديناميّ فعال، أما إدوارد سعيد فيرى حديثه عن "المثقف الحقيقي"،إنّه ذلك " الذي يواجه عقدَتين تمنعه عن أداء دوره، (1) النقد السلبي تجاه السلطة مع تجاهل السياق الثقافي أو الإرث التاريخي الذي استمدت منه شرعيتها و(2) الإنبهار المولع بالغرب والذي يؤول إلى انفصامية خطيرة تتأرجح بين الفوقية والتسامي "[29]، وبهذا فالنموذج الذي يريده "إدوارد سعيد" مثقف متجاوز ومتفرد بذاته عن إكراهات السلطات (الثقافية والتاريخية)، في محاولة بناء جينالوجيا المثقف غير المنبهر بالآخر وبحضارته والمتماهي مع منجزاتها التي تذكي فيه الشعور بالنقص الذاتيّ.

في نفس السياق، يرى "اليامين بن تومي" في تتبعه لبنية "المثقف" في البيئة الجزائرية، أنّ المثقف مثقفون وهم يتميّزون عن بعضهم البعض بمدى الوضعيات الوظيفية التي يؤدونها على شتى المنابر الثقافية وحتى السياسية، بقوله: " نكون هنا إزاء نوعين من المثقفين؛ مثقف باهت الألوان مصاب بأشكال من الاحتباس التاريخي، ((...))، أما المثقف الثاني، فهو مثقف حلولي يبيع مواقفه في مزاد العالم القديم، هو عالم السلطة التاريخية والسياسية ويعطي قيمة رهيبة لأشكال الاستمرار الملحمي لتلك الأحاديّة المفلسة"[30]، لذلك فهذين الصنفين ينطبق عليها توصيف "عمار بلّحسن" بالمثقفين الموظفين، الذين همهم الوحيد ينصب حول كيفية الاغتراف من النبع دون مبالاة بأحوال التي يعيش فيها غيرهم من وعي كائن/آنيّ وشقي/ خاطئ.

إنّ المثقف النقديّ، هو الذي يقوِّم عمليته البحثية على ضرورة مساءلة لتفكير المنهجي، بكلّ وعي معرفيّ ممكن عبر تقويم نتاجه ـ الأطروحة الدكتورالية ـ على وضعيات إشكالية منهجية، تأخذ بمقومات البحث العلمي الرطين، وفق المرحليّة الآتية[31]:

1. مرحلة ما قبل البدء بالمشروع البحثي، وفيه يتم طرح جملة من التساؤلات المنهجية، التي تخض موضوع البحث.

2. مرحلة البدء_في المشروع البحثي، تتطلب هذه المرحلة من الذات الباحثة تجميع كل مكتسباته العلمية القبلية، مع مراعاة الطرح المنهجي ومدى مشروعية تطبيقه على المتون الدروسة.
3. مرحلة الشروع_في كتابة الأطروحة، ويتم فيها محاولة الإجابة عن التساؤلات المنهجية، التي سبق طرحها_في المراحل السابقة، للوصول إلى النتائج المبتغاة من الأطروحة.
4. وضع رزنامة تنظيمية لمشروع البحث؛ بغية تسهيل الضبط الزمني لمختلف الفصول والمباحث بشكل منهجي ومنظم.

لذلك فلا بدّ أن تنطلق الذات الباحثة الحاملة لرؤية واضحة للعالم من حيثيات المنهج العلمي الرصين، فالوعي الممكن يمثلّ بالنسبة لها حتمية وظيفية_في التخريج البحثي، لذلك ينبني الفعل البحثي المنهجي على دينامية تأسيسية متكاملة المعالم متضمنة وفق جملة من التقويمات الأكاديمية التي تطرحها الصيرورات والسيرورات المنهجية.

على سبيل الختام:

إذ نقف عند ختام ورقتنا البحثية، توصلنا إلى جملة من النتائج سنأتي على توقيعها_في النقاط الآتية:

- إنّ القول بالقطيعة الابستمولوجية مع سؤالي "الكيف" و"الماذا"، يكتفى فيه بالتأكيد على ضرورة القول بأهمية تجاوز الأطر المعرفية التي طالما قيّدت المتون الأدبية والعملية البحثية بأطر سوسيوتاريخية وسوسيوثقافية ضيقة، إلى محاولة الانفتاح على القارئ الحصيف بالمجريات الصيروراتية والسيروراتية من منطلق وعي منهجي بحت بالمتطلبات التي تطرح على الساحة الأكاديمية/ الجامعية.
- الأزمة المصطلحية التي ترزح تحتها الساحة الأكاديمية العربية، ينبغي أن تنطلق من فكرة "الحلقية المعرفية" بلغة السعيد بوطاجين، بعيدا عن المحاولات الذاتية لبعض الذوات الباحثة ترجمة أو تعريبا، للوصول إلى أرضية مصطلحية سليمة.
- لبناء فليدونغ ذات واعية وعيا ممكنا بتحديات الراهن البحثي، يستلزم تحيين الفعل البحثيّ، وفق أطر البحث المنهجيّ من جهة، كما يجب من جهة ثانية، تبني رؤية للعالم تنطلق من أسس مساءلة الوعي المنهجيّ، بعيدا عن الوعي الزائف الذي يحطم العملية البحثية_في تخليقه لذوات مثقفة تقليدية لا دينامية.
- لا بدّ من التأكيد على الأهمية الوظيفية للمثقف النقدي_في سيرورة وصيرورة الفعل البحثي، لفتحه المجال البحثي دائما بفعاليته_في مواكبة جديد المناهج

والنظريات، وكذا المقاربات النقدية_في مضانها الأصلية بفعل الدينامية التي يتأرضن عليها ميلاده.

هوامش الورقة البحثية:

[1]- القديس أوغستينوس، إعترفات، تر: إبراهيم الغربي، دار التنوير للطباعة والنشر، تونس، (ط 2)، 2015، ص: 229.

[2]- عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط 1)، 2008، ص: 13.

[3]- حميد لحمداني، الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي، دراسة بنيوية تكوينية، دار الثقافة، الدار البيضاء، (ط 1)، 1985، ص: 14.

[4]- حميد لحمداني، سحر الموضوع، (عن النقد الموضوعاتي_في الرواية والشعر)، مطبعة أنفو – برانت، فاس، (ط 2)، 2014، ص: 18.

[5]- ينظر: محمد أديوان، النص والمنهج، منشورات دار الأمان، الرباط، (ط 1)، 2006، ص ص: 117 ـ 119.

[6]- فؤاد ناصيف خير بك، من الإبستمولوجيا إلى المجتمع، ص: 81. نقلا عن: خير الدين دعيش، المناهج النقدية ونظرية المعرفة، (نحو تأسيس لوعي منهجي)، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، الجزائر، (ع 07)، 2008، ص: 254.

[7]- حبيب مونسي، نقد النقد، المنجز العربي_في النقد الأدبي دراسة_في المناهج، دار التنوير، الجزائر، (ط 1)، 2014، ص ص: 5 ـ 6.

[8]- بن جمعة بوشوشة، النقد الروائي_في المغرب العربي، إشكالية المفاهيم وأجناسية الرواية، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، (ط1)، 2012، ص: 07.

[9]- بشير بويجرة محمد، واقع الممارسة النقدية ومآل النصوص الإبداعية، ص: 59. ينظر: جعفر يايوش وآخرون، أسئلة ورهانات الأدب الجزائري المعاصر، منشورات دار الأديب، وهران، (د ط)، 2005.

[10]- حميد الحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبيّ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، (ط 1)، 1991، ص: 53.

[11]- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة_في ثلاثيّة نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د ط)، 2004، ص: 105.

[12]- شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء_في رواية " غدا يوم جديد "، مجلة الثقافة، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، (ع 115)، 1997، ص: 151.

[13]- عبد الملك مرتاض، نظرية الرواية، بحث_في تقنيات السرد، مجلة عالم المعرفة، وزارة الثقافة، الكويت، (ع 240)، 1998، ص: 121.

[14]- المرجع نفسه، ص : 122.

[15]- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائيّ، الفضاء ـ الزمن ـ الشخصية، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، (ط1)، 1990، ص: 31.

[16]- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، (د ط)، 2000، ص: 12.

[17]- السعيد بوطاجين، الاشتغال العاملي، دراسة سيميائية "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عينة، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط 1)، 2000، ص: 09.

[18]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 32.

[19]- حمزة بسو، إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر، قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه علوم، جامعة محمد لمين دباغين ـ سطيف 02 ـ، 2018 ـ 2019، ص: 115.

[20]- عبد الحميد بورايو، من تقديمه لكتاب: المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، دار التنوير، الجزائر، (ط 1)، 2014، ص: 06.

[21]- تدل كلمة "البيلدونغ" على نمط من التحديث يطال الوعي أو الأمة أو التاريخ، لأنّ الأمر يتعلق في هذا المفهوم بسيرورة لا تنضب في الاكتمال. يتنظر: محمد شوقي الزين، الثاف في الأزمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الرباط، الجزائر، بيروت، (ط 1)، 2014، ص: 370.

[22]- ياسين سليماني، خطوط غير مستقيمة، مقاربة في الفن والأدب والناس، دار التنوير، الجزائر، (ط 1)، 2017، ص: 23.

[23]- أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، مكتبة الأنجلو مصرية، (د ط)، د ت، ص: 61.

[24]- عبد العزيز بو الشعير، عقلانية العلم وفلسفته، قراءة في ابستيمولوجيا غاستون باشلار، كلمة للنشر والتوزيع، أريانة، تونس، (ط 1)، 2016، ص: 10.

[25]- حكيم أومقران، البحث عن الذات في الرواية الجزائرية، (الطاهر وطار نموذجا) مقاربة سوسيوثقافية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، 2005، ص: 180.

[26]- عمار بلحسن ، الأدب والايديولوجيا، ج.ج. تانسيفت، الدار البيضاء، (ط 2)، 1991، ص: 29.

[27]- المرجع نفسه، ص: 30.

[28]- كولن ولسون، اللاّمنتمي، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، (ط 5)، 2004، ص: 05.

[29]- شوقي ضيف الزين، إزاحات فكرية، مقاربات في الحداثة والمثقف، منشورات الاختلاف، الجزائر، (ط 1)، 2005، ص: 72.

[30]- اليامين بن تومي، أمراض الثقافة، قضايا التشويه الكبرى في الجزائر، منشورات دار الوطن اليوم، سطيف، الجزائر، (د ط)، 2017، ص ص: 135 ـ 136.

[31] Look , Nicole Newendorp, A Guide to Writing a Senior Thesis in Social Studies, Committee on Degrees in Social Studies , Harvard University, 2013, p. 2/ 7/ 21/ 32.